المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
ان الحكمة تقيد العلم وتحفظه كما ان العلم يقيد الحكمة ويحفظها

( قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق )

( مصر في يوم الثلاثاء غرة صفر سنة ١٣١٨ — ٢٩ مايو (ايار) سنة ١٩٠٠ )

# الترك والعرب

## ٢

بينا في المقالة السابقة ان المزية التي امتازت بها دولة الترك العثمانية على كل دولة عربية هي بقاء دولتهم وثباتها زمناً يناهز زمن دول العرب كلها او يزيد واوضحنا الاسباب في ذلك ملمين باسباب تنازع الدول العربية في السلطة وانهم على تنازعهم وتخاذلهم كانوا اوسع فتوحاً واكثر نشراً للاسلام ونصراً للدين من الترك. ووعدنا بان نقابل بين الفريقين ونفاضل بينهما في العلوم والمعارف والمدنية والعمران وها نحن اولاء منجزوا موعدنا فتدبر ما نكتبه تدبرا

من احاط خبرا بحال الشعبين في هذه الايام ولم يكن عارفاً بتاريخهما الماضي ولا واقفاً على علل الاحوال الحاضرة واسبابها يحكم بان الترك اقرب الى المدنية من العرب لانهم ارقى منهم في الفنون والعلوم العصرية

وما ينشأ عنها من الصناعات وما يتبع ذلك من مظاهر الجمال والجلال والبهاء والكمال فاذا مدّ عينيه بعد هذا الى مناشئ الامور وعللها رأى ان المال المخصص للمعارف فى الدولة ينفق فى الاستانة العلية وما يليها من بلاد الترك الا نزراً يسيراً يصرف الى ما يتصل بها كسوريا فهو كالرشاش يصيب الارض المجاورة لمكان مرهوم او ذي صيّب لا يروى غليلا ولا يشفى فتيلا . واذا رأى هذا وعرفه يرجع عن حكمه لا محالة واذا هو رجع القهقرى فى التاريخ الى ايام دول العرب وشاهد ما كان منهم من العلم ايام لا علم الا علمهم والصناعة حيث لا صناعة تعلو صناعتهم والزراعة ازمان لا زراعة كزراعتهم والتجارة حيث لا احد يجاريهم فى تجارتهم يتجلى له ان قابليتهم للكمال اقوى واستعدادهم للمدنية اعلى وعقولهم فى العلم ارقى وهمتهم فى العمل اعلى فانهم أوجدوا مدنية لم تكن واحيوا علوماً كانت مدفونة فى مقابر مكاتب الرومان وغيرهم ونفخوا فى العالم الانسانى روحاً جديداً كان مبدأ الانقلاب الاعظم فى تاريخه وأفاضوا على أرضه الميتة صيب الحكمة والمجد والعمل فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج

وأما الترك فلم يظهر فيهم أيام عزهم وقوتهم شيء من ذلك مع ان لهم سلفاً فيه وقد غمرتهم فى هذه الايام المدنية الاوربية وجاءتهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين — لا تكاد تجد منهم مكتشفاً ولا مخترعاً ولا تكاد تجد فيهم صاحب مذهب فى الاصول العلمية ولا صاحب رأى فى المذاهب الفلسفية ولا تكاد تجد فيهم شركات صناعية أو تجارية تضرب فى الارض ابتغاء الثروة والكسب. الا انى اعيد القول بانهم ارقى من العرب فى هذه الايام لما ذكرت من

الاسباب لا لأن استعدادهم اقوى وأعيد القول بان الغرض من المقابلة والمفاضلة بينهم وبين العرب بيان الحقيقة وخدمة التاريخ وحث الشعبين على ان يكونوا شعباً واحداً يخدم الوحدة الاسلامية التي يجب ان تكون فوق كل جنسية بل ان تتلاشى فيها كل جنسية وان يسعى عقلاء الفريقين في التأليف والتوحيد فان الترك يظهرون احتقار العرب حتى ان لفظ (عرب) من الفاظ الشتم في لغتهم والعرب يعتقدون ان الترك تحرّوا محو آثار المدنية العربية من بغداد وغيرها متعمدين وقد انتهى بهم سوء الظن الى الاعتقاد بان الجامع الاموي ما احرقه الا الاتراك لانه من الآثار العربية التي يفتخر بها . ولو اردنا ان نفيض في هذا الموضوع ونشرح بعض ما يتحدث به الناس من ذلك في سوريا وغيرها لقضى المصريون منه عجباً . ومن ذلك ان قاضياً تركياً جاء الشام فمكث فيها عدة سنين معظماً مبجلاً محترماً مكرماً وعند ما نقل منها قال لأخص اصدقائه عند الوداع ادعوا الله ان ينزع بغض العرب من قلبي فاني ما رأيت منكم الا كل لطف وكمال . ومما هو مستفيض عن جهلائهم انهم ينكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي ويزعم بعضهم انه قال « انا عربي وليس العرب مني » ولم يعرف انه كان مثل هذا بين العرب وبين غير الترك من الاعاجم الذين استووا على عروش السلطة في البلاد الاسلامية . وهذه دولة الفرس الحاضرة لم ينقل عن اهلها انهم يبغضون العرب او يحتقرونهم لانهم عرب وان من الاعاجم من يعتقد ان العرب افضل من جميع الاجناس لان النبي الاعظم منهم والقرآن بلسانهم وهم الذين نشروا الدين وأيدوه . ومن هؤلاء الافغان الذين يتعصبون لجنسهم اشد التعصب ويرون ان الافغاني

هو افضل الناس لانه افنانى ولكنهم يستثنون العرب

يا قوم ان ربكم يقول لكم « ان هـذه امتكم أمة واحدة » ويقول « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون » ويقول « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » وجاء فى السنة الصحيحة « لا تنازعوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » . يا قوم ان فى تاريخ من قبلكم أعظم عبرة لكم . ألم يقص عليكم ما اصاب الامة من تنازعهم على الخلافة والملك ومن اختلافهم وتفرقهم فى الدين ؟ اصابهم شر عظيم قذف بهم من القنة الى الهاوية وخزيت الأمة كلها بخزي رؤسائها فى الدين والدنيا . ولما تجددت لها دولة قوية وهى (الدولة العلية) أعزها الله تعالى لم تسع فى ابان قوتها فى رتق الفتق ولم تعمل لاستئصال جراثيم الفتن السابقة واصطلامها لانها كانت دولة قوة وبأس لا دولة علم وحكمة وما كان بين المسلمين وما هو كائن لا يمحوه الا العلم الاجتماعى الصحيح وهو ما كان ضعيفاً أو معدوماً فى دولهم العلمية فما بالك بغيرها ؟ ما محا الترك سطور التعصبات الماضية ولكنهم زادوا فى الطنبور نغمة وهى التعصب للجنس الذى محاه الاسلام من أعرق الامم وأشدها فيه وهي الامة العربية . ثم قام فى هذه السنين فى مصر من زاد فى الطين بلة فأحدث فى الاسلام بدعة التعصب للوطن والافتخار بلفظ الوطنية . فبهذه المدى تقطع روابط الاسلام ويمزق أهله كل ممزق والآخذون بها هم الذين يدقون على المسلمين ويحولون

بين عقلائهم وبين ما يشتهون من الوحدة الاسلامة . ومن العجيب ان هؤلاء الاغرار يغشون الناس فى مصر بانهم من انصار الدولة العلية والمخلصين لها وليست الدولة من سلالة الفراعنة ولا من أبناء وادي النيل الذى يتعصبون له ويحملون الناس على مناوأة كل من ليس من أهله . ومنهم من يجاري الناس فى هذه الايام بذكر « الاسلام » و « الجامعة الاسلامية » . وكيف تكون الجامعة الاسلامية اذا كان المسلم المصرى يعادى المسلم الشامي والمغربى والحجازى وأولئك يعادونه أيضاً ؟ نسأل الله البصيرة والهداية لهؤلاء الاغرار لعلهم يرشدون

ونحمد الله ان مولانا السلطان الاعظم عبدالحميد الثانى أيده الله تعالى هو الملك الثانى (والاول هو السلطان سليم ياوز) الذى عقل مضرة التعصب للجنس ولولا شدة عصبية الاتراك لقلب الاوضاع وغير ما عليه الدولة من نظام الاجتماع . وكلنا على علم بحزب (تركيا الفتاة) الذى تألف لمقاومة ذاته الكريمة لان سياسته غير مرضية عندهم . وقد شغل فساد هذا الحزب الضار أفكار جلالته فأخذ جزءا غير قليل من وقته الثمين ولولاهم لصرف فى مصلحة الدولة والامة . ورأيت أيضاً غير واحد من عظماء الاتراك سياسته اسلامية لا تركية ولا وطنية ومنهم دولة الغازى مختار باشا الذى كنت أسمع من الناس انه كان فى اليمن يسير سيرة تركية وان العرب هناك لاقوا من تعصبه أضعاف ما يقتضيه التأديب وتستلزمه المصلحة . ولكننى لما اتصلت بدولته فى مصر وذاكرته فى شؤن الدولة العلية والاسلام كذب الخبر الخبر وعلمت ان سياسته اسلامية وان شئت قلت سليمية ( نسبة للسلطان سليم عليه الرحمة ) الا ان يكون هذا الرأى قد

حدث عنده بعد ذلك . وعلى كل حال نسأل الله تعالى ان يكثر من أمثال هؤلاء العقلاء الفضلاء في الدولة العلية عسى ان تتوحد الامة بسعيهم وتتكون الجامعة الاسلامية باهتدائهم وهديهم وما ذلك على الله بعزيز

(سيأتي الكلام على مدنية العرب بخصوصها)

# باب التربية والتعليم

## ﴿ التعليم النافع ﴾

لا ترتق أمة من الامم دفعة واحدة واذا أراد الله بقوم خيراً يعطى أفراداً منهم عقولاً كبيرة ويهيئهم اكتساب العلوم النافعة ويبصرهم بالمصالح وطرق الوصول اليها ويوفقهم للتصدي للارشاد ثم يلهم قومهم احترامهم والاخذ بهديهم وارشادهم فينتشر بذلك الاصلاح فيهم . واذا أراد الله بقوم سوءاً يبغض اليهم كل من ينبغ فيهم وينبري لانتياشهم مما هم فيه من الشقاء والعناء متوهمين انه مبطل فيما يدعو اليه لانه مخالف لما هم عليه من العادات والتقاليد ويقول سادتهم وكبراؤهم لو كان ما يدعو اليه خيراً ما سبقنا اليه ( وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان «اى ما جاء به محمد» خيراً ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ) . هكذا كان وهكذا يكون والتاريخ شاهد صادق وحاكم عادل ولكن الامم في طور الجهالة لا تعتبر بالحوادث ولا تتأدب بالكوارث

خير الاصلاح اصلاح التعليم وخير التعليم ما كان على الطريقة العملية حتى ان الامم المرتقية لم تعد تعتبر نجاح التعليم ببراعة التلامذة في الامتحان